«إطلالة الألف الثالث»

رسالة يوحنّا بولس الثاني الرسوليّة في إعداد يوبيل الألفين
روما، ١٠/١١/١٩٩٤

الأب ڤيكتور شلحت اليسوعيّ(٥)

إنّ هذه الرسالة في إعداد يوبيل الألفين العظيم، هي رسالة جامعة وبرنامج رعائيّ شامل لحياة الكنيسة خلال السنوات القلائل التي تفصلنا عن حلول الألف الميلاديّ الثالث. إنّها أشبه بـ«بانوراما» يبرز لنا أهمّيّة هذا اليوبيل لا في نظر المسيحيّين وحسب، بل في نظر البشريّة جمعاء.

يقول يوحنّا بولس الثاني إنّ مصدر اليوبيل الأساسيّ هو المجمع الڤاتيكانيّ الثاني، لأنّه كان عهدًا جديدًا في حياة الكنيسة، يبشّرها بربيع جديد، مع كلّ ما تواجهه من تحدّيات. ويأمل البابا أن يظهر هذا الربيع في يوبيل الألفين العظيم.

من الجدير بالذكر أنّ هذه الرسالة ولدت في الألم، إذ إنّ يوحنّا بولس الثاني أنهى صياغتها الأولى وهو في المستشفى. غير أنّ فكرتها الجوهريّة مستوحاة من رسالته العامّة حول «الروح القدس في حياة الكنيسة» (العام ١٩٨٦)، وقد خصّص قسمها الأخير ليوبيل الألفين. أمّا فكرة اليوبيل نفسها فإنّها تعود إلى يوم انتخابه بابا. فقد روى لنا ما قال له آنذاك الكردينال

(٥) باحث في شؤون الإيمان والتربية - دمشق.

فيشنسكي مهنّئًا: «بما أنّ الربّ قد دعاك، فعليك أن تُدخل الكنيسة في الألف الثالث». هذا وقد استشار يوحنّا بولس الثاني الكرادلة ورؤساء المجالس الأسقفيّة، ثمّ جمعهم في جلسة خاصّة في ١٣-١٤ حزيران (يوليو) الماضي وطلب رأيهم في الصياغة الأولى، وكان قد أرسلها إليهم قبل شهر تحت الكتمان. فاستمع البابا إلى ملاحظاتهم وأخذها بعين الاعتبار في الصياغة النهائيّة وذكر ما هو صادر عن آرائهم. أمّا هدف اليوبيل الرئيس فهو تقوية إيمان المسيحيّين وتعزيز شهادتهم للمسيح بما فيها الوحدة المسيحيّة، وقد أصبحت هذه القضيّة أشبه بـ «هاجس» يُراود قداسته طوال رسالته. وعندما قدّمها الكردينال أتشيغيراي إلى العالم في ١٤/١١/ ٩٤، قال إنّها المفتاح لقراءة حبريّة يوحنّا بولس الثاني بكاملها.

جاءت الرسالة في خمسة أقسام: الأوّل عقائديّ بعنوان: «المسيح هو هو الأمس واليوم...»، والثاني يشرح معنى اليوبيل ومضمونه ومتطلّباته، والثالث يتحدّث عن إعداد اليوبيل غير المباشر وعن الأحداث الكنسيّة الممهّدة له، والرابع يتناول الإعداد المباشر، وهو على مرحلتين: الأولى من ١٩٩٤ إلى ١٩٩٦ لتوعية المؤمنين، والثانية من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩ للاحتفال بسرّ الخلاص، مع تخصيص كلّ من السنوات الثلاث لكلّ من يسوع المسيح والروح القدس والآب. فاليوبيل هو إذًا مسيرة بالمسيح مع الروح نحو الآب. أمّا القسم الخامس فيختم الرسالة بنهاية الآية الواردة في القسم الأوّل، وهي «المسيح هو هو... للأبد». وإليكم الآن هذه الأقسام في أفكارها الرئيسة وتوجيهاتها الرعويّة.

في مقدّمة وجيزة، يستهلّ البابا رسالته بآية بولس الرسول الشهيرة: «فلمّا تمّ الزمان، أرسل الله ابنه مولودًا لامرأة...» (غل ٤/ ٤). فامتلاء الزمن يتطابق إذًا مع تجسّد الكلمة وسرّ الفداء (رقم ١).

«يسوع هو هو أمس واليوم...» (عب ١٣/٨)

في القسم الأوّل عرض لمراحل تحقيق سرّ الفداء (ف ٢-٥)، تظهر

فيه أصالة المسيح وما يميّز المسيحيّة عن سائر الأديان. فالمسيح لم يتكلّم باسم الله كالأنبياء، بل الله هو المتكلّم في كلمته الأزليّ المتجسّد. لقد ذكرت بقيّة الأديان بحث الإنسان عن الله. أمّا في تجسّد الكلمة فالله هو الذي يبحث شخصيًّا عن الإنسان المخلوق على صورته، ليدلّه على الطريق المؤدّية إليه. . هكذا يحقّق الكلمة المتجسّد التطلّعات الكامنة في أديان البشريّة، إذ يلتقي الله والإنسان في يسوع المسيح (٦). ولماذا يبحث الله عن الإنسان؟ لأنّه ابتعد عنه واختبأ كآدم بين أشجار الفردوس. إنّ الله يبحث عن الإنسان بواسطة الابن لكي يُعرضِ الإنسان عن طرق الشرّ. هذا هو الفداء (٧). في ديانة التجسّد يسكن الإنسان في قلب الله ويسكن الله في قلبه بالمسيح فيستطيع الإنسان أن يناديه: «يا أبتِ» (٨).

يوبيل العام ألفين.

ثمّ تتطرّق الرسالة إلى موضوع اليوبيل، فتأتي أوّلًا باعتبارات حول الزمن، تعليقًا على ما كتبه بولس، حين تمّ الزمان بميلاد ابن الله ودخول الله بالتجسّد في تاريخ الإنسان كما دخلت فيه الأبديّة. فهل يمكن أن يكون بعد ذلك إتمام آخر؟ فمختلف الأجوبة، كالتقمّص أو التناسخ، لا تعطي الأجوبة الشافية، ولكنّها تشير إلى أنّ الإنسان يتطلّع إلى الحياة الدائمة، وأنّه متيقّن بأنّ له طبيعة روحيّة وأبديّة. . وهو بالتالي لا يستطيع أن يحقّق انشراحه وتطلّعاته إلاّ في الالتقاء بالله. . . فامتلاء الزمن هو الأبديّة. ويتّخذ الزمان بيسوع بعدًا إلهيًّا أبديًّا، إذ إنّ الأيّام الأخيرة بدأت مع يسوع، ويبدأ معه زمن الكنيسة. فواجب تقديس الزمان ناتج من علاقة الله به (٩-١٠).

وفي هذا السياق، نفهم معنى ممارسة اليوبيلات في العهد القديم، ثمّ في الكنيسة. تتذكّر نصّ أشعيا النبيّ الذي قرأه يسوع في مجمع كفرناحوم، فقال: «روح الربّ نازل عليّ، لأنّه مسحني وأرسلني لأبشّر الفقراء. . . وأعلن سنة قبول عند الربّ»، وكان النبيّ يتحدّث عن المشيح. ثمّ أضاف يسوع: «اليوم تمّت هذه الآية بمسمع منكم» (لو ٤/

٢١)، مشيرًا إلى أنّه هو المشيح المنتظر. لقد جاء يسوعَ تلاميذُ يوحنّا يسألونه: «أأنت الآتي أم آخرَ ننتظر؟» فأجابهم: «إذهبوا فأخبروا يوحنّا بما تسمعون وترون: العميان يبصرون والعرج يمشون مشيًا سويًّا والبرص يبرأون والصمّ يسمعون والموتى يقومون والفقراء يبشَّرون...» (متّى ١١/ ٣-٥). فيسوع بدأ يتمّ هذا الزمان المنتظر منذ أمد بعيد. واليوبيلات تتعلّق جميعها برسالة يسوع المشيحيّة، وهي تحقّق سنة القبول والنعمة. فليس اليوبيل إذًا مجرّد ذكرى سنويّة، بل هو صفة لأعمال يسوع الرسوليّة. كان اليوبيل زمنًا مكرَّسًا لله بوجه خاصّ، يراد به إراحة الأرض وإطلاق سراح العبيد والإبراء من الديون إكرامًا لله. وما كان يصحّ من السنة السبتيّة، كان يصحّ من اليوبيل الخمسينيّ. وعلى سنة اليوبيل أن تعيد المساواة بين الناس بإعادة توزيع الخيرات توزيعًا عادلًا. لذلك نقول إنّ أقوال يسوع وأعماله هي إتمام تقليد اليوبيلات، كما جاء في العهد القديم (١١-١٢).

أمّا بالنسبة إلى الكنيسة فاليوبيل هو سنة رضى وقبول، وسنة المصالحة ومسامحة الخطايا.

وفي الكنيسة يوبيلات تذكّرنا بسرّ التجسّد وسرّ الفداء والصليب. وفي هذه المناسبات تعلن الكنيسة سنة رضًى عند الربّ، ليتمكّن المؤمنون جميعهم من الإفادة من نعم السنة المقدّسة (١٤).

واليوبيلات في حياة الناس مرتبطة عادة بتاريخ ولادة أو مناسبة عائليّة أو دينيّة أو اجتماعيّة. وفي هذا الإطار، تُعَدّ ذكرى ميلاد يسوع الألفين يوبيلًا ذا أهمّيّة كبرى في نظر جميع المسيحيّين، والبشريّة جمعاء، إذ إنّ التقويم الزمنيّ الأكثر انتشارًا في العالم ينطلق من ميلاد المسيح (١٥).

وتوحي أيضاً كلمة يوبيل الفرح الباطنيّ والخارجيّ معًا، لأنّ مجيء الله هو أيضًا حدث خارجيّ ومرئيّ ومسموع وملموس. لذلك تبتهج الكنيسة بالخلاص وتدعو الجميع إلى الابتهاج معها. إنّه أعظم

اليوبيلات. وفي هذه المناسبة، يطلب البابا أن تُرفع صلوات حارّة من أجل وحدة المسيحيّين، فيتعاونوا بعضهم مع بعض ويضعوا معًا كلّ ما يجمعهم، وهو أكثر بكثير ممّا يفصلهم. كما يدعو الكنائس المحلّيّة إلى وضع مشاريع مسكونيّة مشتركة احتفالًا باليوبيل (١٦).

إعداد اليوبيل المظيم

وينتقل البابا بعد ذلك إلى الكلام على إعداد اليوبيل. وبما أنّ العناية الإلهيّة هي التي تمهّد لكلّ يوبيل في تاريخ البشريّة، فقد ذكّر البابا بالأحداث الكنسيّة التي مهّدت له بشكل غير مباشر، وعرض أهمّ أحداث البشريّة التي جرت بين العام الألف والعام الألفين، ولاسيّما أحداث القرن العشرين الذي يشهد لتدخّل الله فيها، وبوجه خاصّ المجمع الفاتيكانيّ الثاني. لقد كان حدثًا ربّانيًا بدأت الكنيسة تستعدّ به لليوبيل. ذلك بأنّ المجمع متمحور على المسيح والكنيسة، ومنفتح على العالم، ويأتي بأجوبة عن تطوّرات القرن العشرين ومتغيّراته. وبالتالي فقد شكّل المجمع عهدًا جديدًا في حياة الكنيسة، مستفيدًا من خبرات الحقبة السابقة، لاسيّما من تراث بيّوس الثاني عشر الفكريّ. لقد كان هذا المجمع أشبه بيوحنّا المعمدان، إذ إنّه لفت نظر العالم إلى المسيح. فاكتشفت الكنيسة مرّة أخرى سرّ كونها جسد المسيح، ودعمت الدعوة المسيحيّة الشاملة، وأفسحت المجال واسعًا لمشاركة العلمانيّين في رسالتها. ولم يجرِ في مجمع سابق حديث عن وحدة المسيحيّين وعن الحوار مع الديانات غير المسيحيّة، كما جرى في ذلك المجمع. وقد عرضت الكنيسة جميع هذه المسائل بلهجة جديدة وبلغة الإنجيل والموعظة على الجبل. لذلك أكّد البابا أنّ أفضل طريقة لإعداد حلول العام الألفين تقوم على الالتزام المتجدّد بتطبيق تعاليم المجمع على حياة كلّ إنسان وعلى الكنيسة جمعاء (١٧-٢٠).

لذلك أحصى يوحنّا بولس الثاني في رسالته جميع المبادرات والمنجزات المنبثقة من المجمع الفاتيكانيّ الثاني وأدرجها في إطار

التمهيد لليوبيل. فتحدّث عن المجامع الأسقفيّة العامّة والإقليميّة والأبرشيّة، وموضوعها الرئيس هو إعلان البشارة، وبوجه خاصّ إعلان البشارة الجديد، وعمّا صدر عنها من «إرشادات» تتعلّق برسالة العلمانيّين وتنشئة الكهنة وواجب تلقين التعليم المسيحيّ، والعائلة والتوبة والمصالحة، وتربيًا الحياة المكرّسة. كما ذكر ما قام به الباباوات من مبادرات في سبيل العدالة والسلام ولاسيّما العدالة الاجتماعيّة، والرسالة العامّة الصادرة عن الكرسيّ الرسوليّ خلال هذا القرن وامتدادًا إلى رسالة لاون الثالث عشر بعنوان «الشؤون المستحدثة»، وغايتها جميعها الدفاع عن كرامة الإنسان وحقوقه من جهة وعن السلام من جهة أخرى. وما هدف الرسائل الباباويّة لمناسبة رأس السنة ومنذ العام ١٩٦٨ إلاّ خدمة قضيّة السلام العالميّ (٢١-٢٢).

ومنذ بدء حبريّة البابا الحاليّ والحديث يدور على اليوبيل العظيم، وقد ذكره في عدّة مناسبات. فليست المسألة أن ننصاع لـ«الألفيّة»، بل أن نكون متنبّهين إلى ما يقوله الروح للكنيسة والكنائس والأفراد (٢٣). ويرى البابا أنّ رحلاته الرسوليّة أصبحت إحدى الطرق في تطبيق المجمع الفاتيكانيّ الثاني وفي إعداد البشارة الجديد وفي تنمية العلاقات المسكونيّة، وهذه جميعها تندرج في التمهيد البعيد لليوبيل. وفي هذا السياق يتمنّى البابا أن يحجّ إلى سراييفو ولبنان والقدس والأراضي المقدّسة (٢٤).

هذا وللكنائس المختلفة دورها أيضًا في إعداد اليوبيل، وذلك عن طريق احتفالها بيوبيلاتها الخاصّة، كاليوبيل الألفيّ الفائت لعماد روسيا في العام ١٩٨٨، أو اليوبيل الألف والخمسمائة القادم لعماد كلوفيس في العام ١٩٩٦. وهناك مناسبات أخرى للاحتفال باليوبيلات في أوروبّا وأفريقيا وآسيا وفي الكنائس الشرقيّة وبطريركيّاتها القديمة والقريبة من التراث الرسوليّ. فالاحتفالات اليوبيليّة في هذه الكنائس والجماعات التي تعترف بجذورها الرسوليّة تذكّر بمسيرة المسيح طوال القرون وتنتهي هي أيضًا إلى يوبيل الألفين العظيم (٢٥).

وفي إطار التمهيد لليوبيل تتدرج السنوات كسنة الفداء والسنة المريميّة وسنة العائلة. ويولي البابا السنة المريميّة اهتمامًا خاصًا، إذ إنّه يرى علاقة واضحة بينها وبين أحداث العام ١٩٨٩ في أوروبّا الشرقيّة. وبما أنّ سنة العائلة تساهم في إبراز قيمة الزواج والعائلة، فلا بدّ أن يمرّ التمهيد لليوبيل بكلّ عائلة (٢٦-٢٨).

إعداد اليوبيل المباشر

بعد عرض الأحداث والمبادرات التي جرت في القرن الحاليّ، ولاسيّما أعمال المجمع الفاتيكانيّ الثاني، ينتقل يوحنّا بولس الثاني إلى الكلام على إعداد اليوبيل العظيم المباشر وهو على مرحلتين:

١ - المرحلة الأولى: تمتدّ من العام ٩٤ إلى العام ٩٦، وغايتها توعية الشعب المسيحيّ لمعاني اليوبيل وقيمته وأهمّيّته. فاليوبيل يقوم على ذكرى ميلاد المسيح، فهو إذًا مسيحانيّ. وبما أنّ المسألة ليست نظريّة، بل حياتيّة، فلا بدّ من الربط بين الذكرى والاحتفال بتأوين الذكرى في الأسرار. والاحتفال اليوبيليّ سيرسّخ المؤمنين في الإيمان، ويدعم رجاءهم وينعش محبّتهم. يقدّم الكرسيّ الرسوليّ مقترحاته في هذا الشأن، في حين تقوم اللجان المحلّيّة بتوعية المؤمنين وتعميق أهمّ أوجه الحدث اليوبيليّ (٣١).

إنّ يوبيل الألفين يهدف إلى أن يكون صلاة شكر حارّة على عطيّة تجسّد ابن الله وعلى عطيّة الفداء والكنيسة. إنّه زمن فرح وابتهاج من أجل مغفرة الخطايا ومن أجل نعمة الاهتداء. لذلك لا بدّ أن نضع في مقدّمة موضوع التوبة والمصالحة. لقد رأى الكرادلة في هذا الصدد أنّه من السبيل أن تقرع الكنيسة على صدرها نادمة على خطايا الماضي. ولكن عليها أن تأخذ على عاتقها خطايا أبنائها في الزمن الحاضر، إذ إنّهم يقدّمون إلى العالم بطرق تفكيرهم وتصرّفاتهم، شهادة معاكسة للإنجيل. (٣٢-٣٣).

ومن الخطايا التي تتطلّب جهدًا خاصًا للتوبة والاهتداء، يذكر البابا

تلك التي نالت من الوحدة التي أرادها الله لشعبه. لقد عرفت الكنيسة خلال الألف سنة الأخيرة انشقاقات مؤلمة تُعارض إرادة المسيح[1]، ونشعر نحن اليوم بثقلها. فلا بدّ من الاعتراف بها، طالبين من الروح القدس نعمة الوحدة بين المسيحيّين. فعلى الرغم من المبادرات المسكونيّة الصادرة عن الكنيسة إثر المجمع الفاتيكانيّ الثاني، لا نزال أمام مشكلة شائكة تعترض الشهادة الإنجيليّة في العالم. فدنوّ الألف الثالث يدعونا إلى فحص ضمير وإلى القيام بمبادرات مسكونيّة مفيدة، ومتابعة الحوار العقيديّ ومواصلة الصلاة المسكونيّة. فلا بدّ أن تزداد هذه الصلاة انتشارًا، وأن يزداد المسيحيّون التزامًا بها في نهج صلاة يسوع: «يا أبتِ... فليكونوا بأجمعهم واحدًا فينا» (٣٤).

وهناك موضوع آخر لا يسع أبناء الكنيسة أن يتذكّروه بدون روح التوبة، ألا وهو موافقتهم، ولاسيّما في بعض القرون، على استخدام وسائل العنف في خدمة الحقّ.. فإذا كانت هناك ظروف اجتماعيّة وأسباب مخفّفة، فذلك لا يُعفي الكنيسة من واجب التأسّف على ما ظهر من ضعف أبنائها في الماضي، وقد شوّهوا وجهها وحالوا دون إشعاع صورة ربّها المصلوب.

ورأى عدد كبير من الكرادلة والأساقفة أنّ على الكنيسة في أيّامنا أن تقوم بفحص ضمير جدّيّ. فمن واجب المسيحيّين أن يسائلوا أنفسهم بتواضع عن مسؤوليّاتهم في شرور العالم. فهناك ظلال كثيرة تعكّر جوّ الكنيسة، منها اللامبالاة الدينيّة والتعلمن والنسبيّة الأخلاقيّة، ومسؤوليّتهم في انتشار الروح اللادينيّة، لأنّهم لم يُظهروا وجه الله الصحيح. ولا يمكن أن ننكر أنّ الحياة المسيحيّة عند الكثير من المؤمنين تمرّ بحالة تشكّك تنعكس على حياتهم الخلقيّة، بل وعلى الاستقامة في الإيمان. ولا بدّ من فحص ضميرنا في شأن طريقة استقبالنا المجمع وقبولنا به. فالتوجيهات

(١) أهمّها الانشقاق الكبير في العام ١٠٥٤، والانشقاق البروتستانتيّ في القرن السادس عشر.

الواردة في الدستور «فرح ورجاء» ما تزال تدعونا إلى مزيد من الجهود (٣٥-٣٦).

والرسالة، إذ تذكر أخطاء الماضي، فهي لا تُغفل إيجابيّاته، ولاسيّما القريب منّا. لقد ولدت كنيسة الألف الأوّل من دم الشهداء. وفي نهاية الألف الثاني، عادت فأصبحت كنيسة الشهداء. ويذكّرنا البابا بذلك، مُظهرًا الوجه المسكونيّ في شهادة الدم. فقد صارت الشهادة للمسيح حتّى الدم تراثًا مشتركًا بين الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت والأنكليكان. ففي عصرنا، عاد عهد الشهداء. لكنّهم أشبه بالجنود المجهولين في سبيل قضيّة الله العظمى. فعلى الكنائس المحلّيّة أن تبذل قصارى جهدها لكي لا يضيع ذكر مَن تحمّلوا الشهادة. ويتضمَّن ذلك طابعًا مسكونيًّا. فمسكونيّة الشهداء والقدّيسين تقنع الناس بفاعليّة أكبر، وصوت شركة القدّيسين أقوى من صوت مثيري الانقسام والشقاق. ولا بدّ أن نعترف أيضًا ببطولة الفضائل التي نجدها في رجال ونساء حقّقوا دعوتهم المسيحيّة في الزواج، متيقّنين بأنّ حالة الزواج لا تخلو من ثمار القداسة (٣٧).

وهناك حاجة أخرى ذكرها الكرادلة والأساقفة وهي ضرورة عقد مجامع قارّيّة على غرار المجمع الأوروبّيّ والمجمع الأفريقيّ. ورحّب أساقفة أمريكا اللاتينيّة، بعد اتّفاقهم مع أساقفة أمريكا الشماليّة، بفكرة عقد مجمع الأمريكتين لدراسة إشكاليّة إعلان البشارة الجديد. وهناك أيضًا حاجة إلى عقد مجمع قارّيّ من أجل آسيا، ومجمع إقليميّ من أجل أوقيانيا، حيث تلقى المسيحيّة أنواعًا وأشكالًا أخرى من التديّن العاطفيّ تتميَّز باتّجاهاتها نحو الوحدانيّة (٣٨).

٢ - أمّا المرحلة الثانية من إعداد اليوبيل المباشر فتتضمَّن السنوات الثلاث ٩٧ و٩٨ و٩٩، ويدور موضوعها على ابن الله المتجسّد بفعل الروح القدس. فنحن إذًا إزاء موضوع ثالوثيّ موزَّع على ثلاث سنوات، وفي كلّ منها تنطلق الرسالة من العقيدة، وتنتقل إلى الحياة الرعويّة،

وتنتهي بالتطبيقات العمليّة والتركيز على إحدى الفضائل اللاهوتيّة الثلاث مع الإشارة إلى دور العذراء مريم ومَثَلِها. وفي كلّ من هذه السنوات يرد ذكر قضيّة الوحدة المسيحيّة أو موضوع الحوار الدينيّ.

فموضوع السنة الأولى هو إذاً يسوع المسيح مخلّص العالم الوحيد. وبناء على اقتراح عدد من الكرادلة والأساقفة، فالرسالة تركّز على طابع اليوبيل المسيحانيّ، باكتشاف المسيح المبشِّر والمخلّص، استنادًا إلى ما جاء في لوقا ٤/١٨-١٩: «روح الربّ عليّ لأنّه مسحني... وأرسلني... لأعلن سنة رضًا عند الربّ». لذلك فلا بدّ في هذه السنة من التعمّق في سرّ تجسّد الكلمة وضرورة الإيمان به للخلاص، مع العودة إلى الكتاب المقدّس للتعرّف إليه. فالآب هو الذي أتى إلينا حيًّا، وتحدّث معنا، وكشف لنا طبيعة ابنه الوحيد.

ولكي نحتفل اليوم بالمسيح، فلا بدّ من تأوين الأسرار انطلاقًا من المعموديّة (غل ٣/٢٧)، لأنّها بوجه خاصّ أساس الشركة بين جميع المسيحيّين. فهذه السنة هي ذات أهمّيّة كبرى من الناحية المسكونيّة، إذ يُطلب إلينا أن نوجّه النظر معًا نحو المسيح الربّ الواحد، ونلتزم عمليًّا لكي نصبح واحدًا. فالتركيز على المسيح وعلى كلمة الله وعلى الإيمان يُثير اهتمام المسيحيّين من سائر المذاهب.

وبما أنّ هدف اليوبيل هو توطيد الإيمان والشهادة عند المسيحيّين، فالسنة الأولى هذه تتلاءم مع إعادة اكتشاف التربية المسيحيّة بمعناها الأصليّ، أي تعليم الرسل، وذلك بالعودة إلى كتاب تعليم الكنيسة الجامعة. ومركزيّة المسيح هذه في الإيمان لا يمكن فصلها عن الاعتراف بدور والدته العذراء مريم. فهي مثال الإيمان الحياتيّ (٣٩-٤٣).

أمّا موضوع السنة الثانية فيدور على الروح القدس وحضوره وعمله في جماعة الرسل، وقد تمّ التجسّد بواسطته. فلا بدّ إذًا من إعادة اكتشافه. فهو الذي يؤوّن في أيّامنا الوحي الذي جاء به يسوع إلى البشر. إنّه يعمل في الكنيسة بواسطة الأسرار ولاسيّما بالميرون والتثبيت والخدمات

والمواهب. وهو العامل الرئيس في إعلان البشارة الجديد. والروح القدس هو الذي يبني الملكوت ويمهّد لتجلّيه التامّ في المسيح.

ومن هذا المنظور الأخيريّ، على المؤمنين أن يكتشفوا ثانيةً فضيلة الرجاء اللاهوتيّة، وأن يستعدّوا لحلول اليوبيل العظيم مع بداية الألف الثالث بإنعاش رجائهم لمجيء ملكوت الله النهائيّ. وفي هذا الإطار لا بدّ من إبراز علامات الرجاء في زماننا الحاضر، كالتقدّم على الصعيد المدنيّ (التقنولوجية والطبّ، والجهود في سبيل المصالحة بين الشعوب، والسلام، والتضامن بين الشمال والجنوب)؛ والتقدّم على الصعيد الكنسيّ (الإصغاء إلى صوت الروح واستقبال المواهب، وترقية العلمانيّين في حياة الكنيسة والسعي إلى الوحدة بين المسيحيّين والحوار مع الديانات الأخرى) (٤٤-٤٦).

وينبغي أن ينصبّ تفكير المسيحيّين بانتباه في هذه السنة على قيمة الوحدة داخل الكنيسة، بالتعمّق في تعليم المجمع حول الكنيسة، وقد أكّد أنّ الوحدة مبنيّة على فعل الروح، وتضمنها الخدمة الرسوليّة، وتدعمها المحبّة المتبادلة (١ قور ١٣/ ١-٨). وهذا التعمّق في الإيمان يحمل شعب الله على الشعور الناضج بمسؤوليّاته. وفي ذلك كلّه تدعونا رسالة البابا إلى التأمّل في وجه العذراء مريم، وقد قبلت أن تنقاد للروح القدس، وكانت أمينة له ومخلصة طوال حياتها. إنّها امرأة الصمت والإصغاء، وامرأة الرجاء أيضًا، إنّها رحّبت إرادة الله، على مثال إبراهيم، وقد «آمن راجيًا على غير رجاء...» (روم ٤/ ١٨) (٤٧-٤٨).

وفي السنة الثالثة والأخيرة من التمهيد لليوبيل، توجّه الأنظار إلى الآب السماويّ، بحسب منظور المسيح في قوله: «الحياة الأبديّة هي أن يعرفوك أنت الإله الحقّ وحدك...» (يو ١٧/ ٣). فالحياة المسيحيّة أشبه بحجّ عظيم نحو البيت الأبويّ. وهكذا يصبح هذا اليوبيل المركّز على وجه المسيح فعل تسبيح وتمجيد للآب. ويترتّب على السير نحو الآب أن يتمّ الاهتداء الباطنيّ. ففي هذا الإطار نكتشف سرّ التوبة ونحتفل به بحرارة.

وبما أنّ التوبة هي مطلب من مطالب المحبّة المسيحيّة، فلا بدّ في هذه السنة من إبراز أهمّيّة فضيلة المحبّة بوجهيها، الله والقريب. فهي خلاصة حياة المؤمنين الأخلاقيّة، إذ إنّ الله هو مصدرها ومنتهاها. وقد جاء يسوع ليعلن البشرى للفقراء، أي محبّة الله ومحبّة القريب. فعلى المسيحيّين إذًا أن يصبحوا صوت الفقراء أجمعين.

وتحدّد الرسالة، من الناحية الرعويّة، مجالين للعمل: الأوّل في مواجهة التعلمن بمعالجة الأزمة الحضاريّة المعاصرة في وجهيها التقنولوجيّ الخارجيّ، والدينيّ الداخليّ، بنسيان الله وتهميشه، وذلك بمواجهة أزمة الحضارة بحضارة الحبّ المبنيّة على القيم الشاملة والعامّة، كالسلام والتضامن والعدالة والحرّيّة.

أمّا المجال الثاني فهو الحوار الدينيّ المشترك، بحسب توجيهات المجمع الفاتيكانيّ الثاني. لذلك فلا بدّ من دراسة إمكانيّة تنظيم لقاءات تاريخيّة في بيت لحم والقدس وسيناء لتوطيد الحوار مع اليهود والمسلمين، ولقاءات أيضًا مع ممثّلي الأديان الكبرى وفي مدن أخرى.

وهنا يبرز أيضًا وجه العذراء مريم الكامل في محبّة الله ومحبّة القريب، وذلك في أهبتها الكاملة لتلبية نداء الربّ (٤٩-٥٥).

٣ - من أجل الاحتفال باليوبيل: إنّ الاحتفال باليوبيل هو في حدّ ذاته فعل مستقلّ، ويقام في آن واحد في الأرض المقدّسة وفي رومة وفي الكنائس المحلّيّة. والهدف في مرحلة الاحتفال هو تمجيد الثالوث. فمنه يصدر كلّ شيء وإليه يتّجه كلّ شيء. والاحتفال باليوبيل في هذه السنوات الثلاث يتّجه نحو هذا السرّ: «من المسيح وبالمسيح وفي الروح القدس، نحو الآب». وبما أنّ المسيح هو الطريق الوحيد إلى الآب، يقام في رومة المؤتمر الأفخارستيّ في العام ٢٠٠٠ لإبراز حضوره الحيّ والخلاصيّ في الكنيسة والعالم. وسيعطى البعد المسكونيّ مكانته عن طريق لقاء مسيحيّ شامل يعدّ له بالتعاون الأخويّ مع مسيحيّي بقيّة الكنائس والطوائف (٥٥).

ويشير البابا في القسم الأخير من رسالته، إلى أنّ الكنيسة قائمة منذ ألفي سنة، وهي تنمو وتكبر لتشمل البشريّة جمعاء، إذ إنّ الجميع مدعوّون إلى الخلاص. فالمسيح، الخميرة الإلهيّة، يدخل متعمّقًا في حياة البشريّة الحاضرة، ليبثّ فيها عمل الخلاص. فهو يشمل في ملكه الخلاصيّ ماضي البشريّة منذ بدايتها، كما يشمل مستقبلها حتّى نهايته. وما هدف الكنيسة إلاّ متابعة عمله بإرشاد من الروح القدس. ويعرض البابا كيف انتشرت الكنيسة من منطقة البحر المتوسّط إلى أوروبّا وآسيا والهند وأمريكا وأفريقيا.. مضيفًا أنّه، بعد سقوط النازيّة والشيوعيّة، هناك حاجة ماسّة إلى تقديم الإنجيل مرّة ثانية إلى رجال ونساء أوروبّا. ففي عصرنا عدد من المحافل، مثل «أريوباغس» آثينة، تحتاج إلى تبشير، إذ إنّ الغرب، كلّما انسلخ عن جذوره المسيحيّة، أصبح أرضًا للرسالة (٥٦-٥٧).

إنّ مستقبل العالم والكنيسة هو للأجيال الشابّة التي تبلغ نضوجها في القرن المقبل. والمسيح ينتظر الشباب كما كان ينتظر الشابّ الغنيّ الذي سأله: «ماذا يجب أن أعمل لأنال الحياة الأبديّة؟»

وفي الختام، يرى البابا أنّه من المناسب العودة إلى الدستور الرعائيّ «فرح ورجاء»، وأورد لنا منه الفقرة (١٠) المتعلّقة بإيمان الكنيسة. ثمّ حرّض المؤمنين على رفع صلوات حارّة لنيل الأنوار والدعم في إعداد اليوبيل والاحتفال به، مستودعًا العذرا مريم مهمّة الكنيسة جمعاء هذه. فتكون، في نظر المسيحيّين السائرين نحو الألف الثالث، النجمة التي تقودهم إلى لقاء الآب (٥٨-٥٩).

من منشورات دار المشرق